

حياته فسجلت أيام الشقاء أروع فصائده وأجدرها بالخلود ! «  
ولقد صححنا تلك الفكرة المنحرفة في الصفحة الثالثة  
والأربعين من كتابنا « نماذج فنية » ، حيث ورد في معرض  
السؤال هذا الجواب : « هذه الفكرة تنطبق كل الانطباق على  
طبيعة شاعر مثل هزريك هايني وتبعد كل البعد عن طبيعة شاعر  
مثل لورد بيرون . إن الألم في حياة الشاعر الإنجليزي لم يكن إلا  
بالمعنى المفهوم عند الشاعر الألماني ، ولكنه كان لونا من السخط  
على الحياة يزول وينتفضي حين تفسح الحياة طريقها للفتى المدلل  
ليضي إلى غيه وهواه ! وما أكثر ما تنحت الحياة عن طريقه  
وهيأت له كل ما يصبو إليه من تحرر وانطلاق ، وفي رحاب هذا  
التحرر كانت تنبث أغانيه حلوة عميقة صادقة . لقد خلق بيرون  
وفي دمه طبيعة بلبل لا يجيد التفريد إلا إذا رأى الجور صحوا  
والسما، صافية ، فإذا امتلأ الجو بالنيوم وتوارى النور خلف حجب  
الضباب سمعت منه بعض الغناء ، ولكنه الغناء المختنق ينبعث من  
أوتار خنجرية ساخطة ، ثائرة ، تشكو هذا الظلام الذي لا يتيح  
لها أن تصدح كما تشاء !

من هذه الكلمات الموجزة نستطيع أن نضع يدك على مفتاح  
هذه الشخصية التي لاغموض فيها ولا تعقيد . يقول بيرون : لقد  
هبت من نومي ذات صباح فألفيتني مشهورا يتردد اسمي على كل  
لسان . قلها بعد أن دفع ديوان شعره الأول إلى الناشرين فدفعوا  
به إلى السماء ، وكان ديوانه هذا الذي حقق له أسباب الشهرة والمجد  
والخلود هو « تشايلد هارولد » ، وإنه في رأي الفن خير أعماله  
الأدبية على الإطلاق ! لقد جادت قريحته الوثابة بهذا الشعر في  
لحظات الصفاء ، هناك حيث قضى بيرون في ربوع الشرق أجل  
أيامه وأسعد لياليه : كأس خمر معتمة ، وقلب غادة خفاق ، وذهب  
يسيل بين يديه ، وزورق يمخر به العباب إلى أيننا وأزمير ومالطة  
واستانبول ، وهذه هي الحياة .. الحياة التي كانت تفجر الشعر في  
أعماقه تفجيرا ، وتهدى إلى عشاق الأدب والفن أروع ألحانه  
وأعذب أغانيه ، هناك في « تشايلد هارولد » ! إن الطابع الفنية  
معادن : بعضها يتوهج في ظلال الترف والتعيم ، وبعضها يتأجج

بمناسبة الذكرى الثالثة

## على طه وبيرون

للأستاذ أنور المداوي

هكذا (١) كان ينظر إلى حياته فيما قبل الثلاثين . لقد كانت  
تلك الحياة في رأيه أو رأى شعوره هذا وتفاعلات ، لأنها قد  
خلت مما يهيج القلب ويؤنس الروح وغدت وهي دموع وزفرات ؛  
وجوهر شخصيته كما قلنا لك أنه لم يخلق للقيود وإنما خلق للحرية ،  
ولم يخلق للدموع وإنما خلق للبهائم .. وما كان أشبهه بالشاعر  
الإنجليزي « بيرون » في هذه الناحية النفسية أو في هذا المجال ؛  
لقد كانت الفكرة السائدة عند بعض كتاب التراجم عن هذا  
الشاعر هي هذه الفكرة المنحرفة حين يقولون : « لقد كانت  
طبيعة بيرون الحقة أنه إذا حزن وتألّم فاض بالشعر قلته في سهولة  
وقوة وعذوبة ، وأنه إذا سعد وهدأت ثورته هدأ الوحي يهدوه  
نفسه وضعف بضعف ثورته ، وأنه قد ظل على هذا الحال طوال

(١) فصل من الفصول الجديدة في كتاب أعدته المؤلف للطبع ، عن  
حياة الشاعر وشعره .. أما بداية الحديث هنا فنتيجة لنهاية الفصل السابق  
حيث ورد هذان البيتان من تصديده في « بحيرة كوهو » :  
شاعر النيل طف بها غنما كل مبنكر  
السلامون قد مضت في التفاهات والهنر !

القدسة . حتى هذه الأحقاد التي يجب أن نورثها أبناءنا على الأقل  
مع العار الذي سنورثهم إياه ، لو تركنا جراحات الوطن الإسلامي  
تدمى في كل مكان ، ونحن لا نصنع شيئا  
إن فرنسا تمزق جسم الوطن الإسلامي في تونس والجزائر  
ومراكش ، وإنجلترا تقوم بدورها في مواضع أخرى ، وأمريكا  
من خلفها تبدو تارة وتوارى .. هذا ما يجب أن نذكره صباح  
مساء ، وما يجب أن نلقنه أبناءنا بكبرة وعشيا

سير قلب

طبيعة الهوى الآثم بين « زليخا » وأخها « سليم » أو حقيقة الهوى الآثم بين « أوجستا » و « بيرون » كما نقلها إلينا أصدق الأخبار والروايات .. صحيح أنه سجل ألمه اللبث من وخز الضمير على ما اقترف من إثم في بعض شعره ، ولكن الحقيقة التي بقيت لنا من شعره وحياته تؤكد لدارسيه أنه لم يكن يفرغ من آلامه العائرة حتى يعود إلى لذاته الدائمة ، فيسب ويدع هنا ويوجز ويفتر هناك ؛ يسب حيث تطول اللذة ويوجز حيث يقصر الألم ، وما الفن إلا انعكاس صادق من الحياة على الشعور ! ولم يكن على طه في علاقته بالمرأة أو في نظراته إلى الجسد الأثوى من هذا الطراز . لقد كان طرازاً آخر بلا مرأى ، أو صورة أخرى ستعرف على التحقيق ألوانها النفسية فيما يلي هذا الفصل من دراسة تحليلية<sup>(٢)</sup> . . . إن هذا المثال المستخلص من حياة الشاعر الإنجليزي ، قد قصد به الإشارة إلى اختلاف خط السير عند الشعراء تبعاً لاختلاف البيئة والنشأة كما قلت ، أو تبعاً لاختلاف أثر الوراثة في تكوين الشخصية الإنسانية . وتبقى بعد ذلك نقطة الالتقاء بين على طه وبيرون في زاوية واحدة تحدها المشابهة بين طبيعتين ؛ تلك المشابهة التي تضع بين أيدينا المفتاح الحقيقي لجوهر الشخصيتين في لقاء الحياة ، وهو أن كليهما لم يخلق للألم وإنما خلق للذة ، ولم يخلق للدمعة وإنما خلق للابتسامة ، ولم يخلق للقيود وإنما خلق للتخليق شأن كل طائر طليق !

ولقد عاش على طه فترة من حياته في ذلك الجو الرومانسي الذي تلوذ فيه النفس بالوحدة وتأوى إلى العزلة وتشتقر قوة الاغتراب ، وتلك الفترة التي عاشها شاعرنا كانت في حساب الزمن نصف ماتدرله من أيام الحياة .. ولقد مرت على بيرون من ذلك الجو الرومانسي لحظات ؛ لحظات وإن كانت عابرة إلا أنها عكست على بعض فنه خصائص ذلك الجو كما تبرزها في الأعم الأغلب أشعار الرومانسيين . لقد عرف على طه في حياته تلك الرومانسية الوجودية التي استحالت في شعره الأول إلى رومانسية فنية وكذلك عرفها بيرون ، ولكنها على اتفاقها في هذه

في رحاب الفاقة والحرمان ، وبعضها يحبو بريقه أو بسطع إذا ما انتقل من حال إلى حال ! »

في هذه الناحية النفسية تتفق طبيعة شاعرنا المصري وطبيعة الشاعر الإنجليزي على التحقيق .. كلاهما سخط على الأثم كل السخط ، وعشق اللذة كل العشق ، ووزن أيام الحياة بما فيها من متعة الحس والنفس حيث تقوم الحياة في رأيه بكل عيد من أعياد الشعور .. تتفق الطبيعتان هنا ويلتق الزايجان ، ولكن خط السير نحو الغاية المنشودة يختلف عند على طه عند بيرون ، تبعاً لاختلاف البيئة والنشأة وأثر الوراثة في تكوين الشخصية الإنسانية ! لقد كانت المرأة مثلاً تشغل حيزاً كبيراً من حياة الشعراء ونفوسهم على حد سواء . ولقد طاف كلاهما بالجسد الأثوى ذلك الطواف الذي يطالملك من شعره في صورته القوية المارمة ، حتى ليخيل إليك أن مفاتيح هذا الجسد كانت هي الكوى الشعرية التي نفذ منها إلى تذوق الحياة .. كان شعورها نحو المرأة هو هذا الشعور ، ولكن شتان في الإعجاب بها بين نظرة ونظرة وفي الوصول إلى حقيقتها بين طريق وطريق !

لقد انحدر بيرون من صلب أسرة ورث فيها الشذوذ في النفس والخلق أبناء عن آباء ، حتى لقد خرج إلى الدنيا وفي دمه مزيج من شرور الوراثة وانحراف النشأة .. كان جل همه أن ينشد متعة النفس ولذة الجسد ونزوة الماطفة ، ثم لا يمتنع من دنياه غير اللحظة التي يعيش فيها وتعود عليه بكل ما يشتهي الفتى الجليل المدلل الذي لا يعد عينيه أبداً إلى الأمام ؛ الفتى الذي لا يتحرج عند جوح الشباب وسطوة الفريزة من أن يحطم في سبيل شهواته كل ما تبارف عليه المجتمع من حدود وقيود ! كان إذا ما ردى في هوة الإثم والنسق والفجور سمعت نرواته وسعد فنه وسعد عشاق هذا الفن ومريدوه .. إنها لحظات الصفاء بالنسبة إلى رجل يرى السعادة في إشباع رغبات الجسد ، ولو تركزت هذه الرغبات الشريرة الجائعة في شخص « أوجستا » أخته من أبيه ! ومن هذه النزوة المحرمة في شرع العرف والسماء يتدفق إبداع بيرون في « عروس أيدوس » وهي القصة الشعرية التي تصور

(٢) هذه الدراسة التحليلية المطولة خمسها المؤلف بمجلة « الآداب »

الإنشائية التي مستمدت في النهج القريب عن « دار العلم للعلايين »

الذي لا تودى به كل تلك العواصف والأعاصير . إنه يتناول هذه القضية الوجودية الكبرى من زاويتين : الأولى ليدافع عن الكيان الإنساني أمام سطوة القدر وحكمة القضاء ، مستخدماً في دفاعه منطق الشاعر الفيلسوف الذي يمرض المقدمات عرضاً شعرياً يرتضيه النفس ليخرج منها بنتائج فلسفية يرتضيهما الفكر . والثانية ليعبر عن حرته البالغة وحيرة القافلة الإنسانية وهي تتخبط في صحراء الوجود تلتمس الظل الظليل في رحاب الواحة الإلهية ، فراراً من وطأة القبط ولفح الهجير ! وهو بعد ذلك متأرجح بين البث والشكاة ، وبين الأنين والحنين ، وبين العذاب المهذب والخضوع العميق .. وهو آخر الأمر معذب لا يدري أين يستقر ولا إلى أي وجهة تمضي به قدماءه : خطوة يأس تقذف به إلى الخلف وخطوة أمل تدفع به إلى الأمام ، ولكنه في غمرة تلك التيارات النفسية المتباينة ضارع مبتهل لايشك أبداً في رحمة الله !

هذه الأفكار والمخاض التي طاف حولها عقل شاعرنا وقلبه هي في حقيقتها أثر من آثار ذلك الجو الرومانسي الذي عاش فيه ؛ وهي نتيجة مباشرة لظروف الوحدة النفسية والعزلة الروحية والانفراد الذاتي كما نعهدها في حياة الرومانسيين ، هناك حيث يدفع الإنسان دفعا إلى إطالة التأمل فيما حوله من حقائق الكون وغاية الوجود ومصير الركب الإنساني بعد انتهاء الحياة ؛ ومثل هذا التأمل لا بد أن يقضي بصاحبه آخر الأمر إلى التمرض لموقفه وموقف الإنسانية جماء إزاء الخالق العظيم . هكذا فعل على طه في قصيدة « الله والشاعر » وهكذا فعل بيرون في مسرحية « قابيل » .. إن شخصية قابيل في تلك المسرحية الشعرية ما هي إلا إحدى شخصيات بيرون التي كان يصور معالمها بصدق وأصالة ، يعبر بها عن حالة خاصة من حالات نفسه وهي مرضة لهزات الوجود ! اتفاق والتقاء ، ولكن خط السير هنا مختلف كما قلت بعض الاختلاف عن خط السير هناك ، لأن هذه الشخصية « البيرونية » في مسرحية « قابيل » ناثرة على الخالق ساخطة على القدر متمردة على السماء ، تريد أن تجرى الإنسان من كل شر وفساد عرفهما الأرض ، محاولة أن ترد

الظاهرة مختلفان في التمرض لها والتأثر بها بعض الاختلاف ، سواء أكان ذلك في مجال الشعور أم في مرض التعبير .. وهنا كما كان هناك ، يلتقي الشاعران في الناية ولكنها بفتراقان في خط السير نحو هذه الناية حيث يمضي كل منهما في طريق !

ارجع في باب « الدراسة الفنية » لشعر على طه إلى قصيدة « الله والشاعر » ، لترى أننا قد سجلنا حول تلك القصيدة هذه الكلمات : « هذه الواقعية النفسية الوجودية التي تسير فيها لفته الفكر جنباً إلى جنب مع خفقة القلب ، هي التي تطالنا من قصيدة « الله والشاعر » .. وهي واقعية تمثل القسط المشترك من الحقائق الكبرى المتبادلة تبادلًا كونياً بين الله والإنسان ، وهي حقائق أشبه بالرواسب الفكرية والنفسية المتخلفة في قرار الذهن البشري منذ أقدم العصور ؛ منذ أن بدأ الركب الإنساني يفكر في واقع هذا السير الطويل في طريق الحياة ، ويتأقن علة وجوده وغاية بقائه وما بعد فئائه ، هناك حيث ينتظره الجزاء الحق أو غير الحق ممثلاً في عالم الثواب والعقاب .. وتقول الجزاء الحق أو غير الحق ، مادامت هناك سيحتان تؤمن إحداهما بأن الإنسان لا يملك أمام القوة العليا شيئاً من أمر نفسه ولا من أمر دنياه ، وإنما هو يدفع فيندفع ويوجه فيتجه ويمير فيسير ، وأنه تبعاً لهذه القدرة السلوية والحرية المفقودة لا ينبغي أن يجزى على سيئاته إذا أساء ، فإن جزى عليها فهو جزاء غير عادل ! إيمان بهذا كله تفسح عنه هذه الصيحة التي تقابلها صيحة أخرى عمادها إيمان آخر ، هو أن الإنسان يملك أمام القوة العليا كثيراً من أمر نفسه ومن أمر دنياه ، فهو قابض على الزمام لا يقلته إلا برغبته ، مبصر للطريق لا ينحرف عنه إلا بإرادته ، عليم بالحقائق لا يجحد عنها إلا بمحض هواه ؛ فهو غير تركز له الحرية فإذا أساء فهمها فقلبه أن يتقبل ما أعد له من جزاء ، وإنه لجزاء ينسم بالحق ويتصف بالعدل ويقترن بالإنصاف !

وإذا أنت بحثت عن مكان على طه بين أصحاب الصيحتين الخالدتين فإن مكانه هناك مع الفريق الأول .. هو معهم في اتفاق النظرة وأجماع الفكرة ولكنه يفترق عنهم في احتفاظه بإيمانه

أن يفصل فصلا تاما بين خصائص كل لون من ألوان الأدب وهو في خاتمة الفنية . لم يستطع النقد أن يوفق إلى تلك التفرقة الكاملة لأنه نسي أن يثبته الأدب في عصر من العصور لا يمكن أن تكون « خالصة » لطابع نفسى بعينه ، يلقي ظله الخاص على وجه ذلك الأدب دون أن يفسح مكانا لظل سواء ! لو فطنت موازين النقد إلى تلك الحقيقة لما وجدت بدا من التعديل في وضع الحدود الأخيرة للمصطلحات الفنية وتقدير خط السير لآبجها الأدب تقديرا نهائيا لا رجعة فيه ! إنك قد تقرأ قصة تمثل آبجها رومانسيا في عرف النقاد وهي لا تخلو في بعض مواقفها من آبجها واقعي هنا أو هناك ، ثم لا تجد في هذا شيئا من الغرابة إذا ما وضعت نصب عينيك هذه الحقيقة المادية ، وهي أن عصرنا من العصور ينتج فنا من فنون الأدب ، لا يمكن أن يتسم بسمه شعورية واحدة تترك آثارها التعبيرية الواحدة التي تندرج في جملتها تحت عنوان ! هل زيد بذلك أن نلتم تلك المصطلحات الفنية التي اتفق عليها نقاد الأدب محدين بها آبجهااته ومراميه ؟ كلا .. وإنما زيد أن نصحح وضعا هو على التحقيق يحتاج إلى تصحيح ، عندما نقرر مطمئنين أن تلك التحديدات المذهبية يعوزها شيء من التعديل ، عماده أننا إذا قلنا عن طابع عصر من العصور إنه رومانسي فيجب أن يفهم أننا نعني الطابع الغالب لا الطابع العام ، ونقصد الظاهر البارز لا الظاهر الشامل ، ونشير إلى السمات الرئيسية لا السمات الكلية ؛ وفي ضوء هذا التحديد يجب أن ننظر إلى ما كتبناه عن « طابع العصر » الذي قضى فيه على طه أول العهد بالشباب !

ونعود مرة أخرى إلى تلك القصص الرومانسية الأربع في ضوء هذا التحديد ؛ نعود إليها لنقرر أنها توضع أيضا في خانة الواقعية دون أن يكون هناك شيء من التناقض والشذوذ . هي « رومانسية » إذا نسبت إلى الجو النفسى القائم الذى كتبت فيه ، أو إلى الخصائص الفنية التي اصطلح عليها النقاد . وهي « واقعية » إذا نسبت إلى واقع الحياة التي كان يحياها أصحابها في ذلك الحين ؛ الحياة الذاتية التي تسجل حقيقتهم الإنسانية والتي قد

كلهما إلى تلك القوة العليا التي تسيطر على الكون وتوجهه إلى مصير معلوم . تحاول هذا ثم تدفعها الثورة العاصفة والمصيان الجامح إلى حد التخيل بأنها « إبليس جديد » ، جاء لينتقم للإنسانية المظلومة من خالقها الذى لا تلقى منه غير الظلم والمذاب .. وهي بعد ذلك تنتظر على يديه ألوانا من الحباب والمقاب !

تورة عند بيرون يتمصها التهذيب ويعوزها التبصر وتتشح بثوب التجديف ، وحيرة عند على طه لا تبلغ هذا المدى من التهور والتسكر والاندفاع ، لأنها حيرة لا تنتهى بصاحبها إلى التمرد ورفع راية المصيان ، وإنما تنتهى به إلى راحة نفسية مصدرها الخضوع والإذعان !

ولقد قلنا في سياق الحديث عن قصيدة « الله والشاعر » إن تلك القصيدة تمثل الواقعية النفسية خير تمثيل ، فكيف يتفق هذا مع القول بأنها من نتاج ذلك الجو الرومانسي الذى قضى فيه على طه أول العهد بالشباب ؟ كيف يجتمع « واقعية » و « رومانسية » في أثر واحد من آثار الفن دون أن يكون هناك شيء من التعارض والتناقض والشذوذ ، مصدره أن موازين النقد في أدب الغرب قد وضعت حدودا فنية « فاصلة » بين مدين اللوتين من ألوان الأدب ؟ سؤال مقصود لأن الجواب عنه كذلك مقصود ، ومن وراء السؤال والجواب نهدف إلى الكشف عن حقيقة المشكلة كما ينطق بها الواقع اللغوي !

هل قرأت « آلام فرتر » لجيته ، و « رفايل » للامرتين ، و « رينه » لثاتوربان ، و « أدولف » لكونستان ؟ هذه القصص الأربع يضمها النقاد في « خانة » القصة الرومانسية وهم يقسمون ألوان الأدب ومذاهبه تبعاً لما يتسم به هذا الأدب من خصائص ومميزات ، يردونها عادة إلى شتى العوامل النفسية التي طبع بها العصر وتركت آثارها في كتابه ، بعد اتفاقهم على أن الأدب نتاج مجتمعه وثمرته ويشه ومرآة جيله التي تنعكس على صفحاتها معالم ذلك الجيل . وتبعا لهذا التقسيم الفنى الذى انتهى إليه النقد عرف الناس أن هناك أدبا رومانسيا وآخر واقعيا في عرف التسمية المذهبية ، وإن لم يستطع النقد في « واقع الأمر »

على أن يسيفنا مالم يتعمدا أن يسيفنا من قبل . وإذا كان لي أن  
أخذ الشاعر بشئ فهو ما قدمته من أن الأمر يختلط في شعره على  
القارى فلا يدري ألقى زملاءه الغربيين والشرقيين مصادفة أم  
عن عمد وسمى !

إن السؤال مقصود هنا لأن اسم الشاعر الإنجليزي بيرون  
قد ورد في سياق الحديث الذى دار به الدكتور حول قصيدة  
« الله والشاعر » ، أما آثار بيرون الفنية التى لا « يدري »  
الدكتور هل لقيه فيها شاعرنا المصرى مصادفة أم عن عمد وسمى !  
أما تلك الآثار فلم يشر إليها بكلمة واحدة تفصح عن حقيقتها  
حين يطلب إلى الدارسين مثل هذا الإفصاح . . ولا ندري نحن  
هل كان يقصد مسرحية « قابيل » التى ذكرناها عند المقارنة بين  
الشاعرين أم كان يطلق القول إطلاقا بغير تحديد ! إن غاية ما يقال  
هنا أننا قد تعرضنا لقصيدة على طه ومسرحية بيرون ، واتهمنا  
إلى أنهما متفتقان فى الهدف ولكنهما تفتقان فى خط السير حتى  
ليذهب كل من الشاعرين فى طريق . وما أبعد الشقة بينهما فى  
حساب النقد الذى يلمس الفارق بين فكرتين قد اختلفت حولها  
القيم الشعرية والتعبيرية !

لقد أدار الدكتور المفتاح مرة أخرى فى قلب الباب ولم يفتح ؛  
أما ذلك المفتاح فلم يكن غير تلك العبارة التى ساقها وهو يفترض  
وجود شئ من التجاوب الفنى بين على طه وموسيه . . ترى أهو  
روح الذى قرأ فتأثر ، أم هو روح الذى أحس فتألم ، فشكا ، فلقى  
موسيه فى هذا كله أو فى بعضه ؟ إن الدكتور هنا أيضا لا  
« يدري » ولا يستطيع أن يقطع برأى لأنه لا يملك الدليل . .  
والدليل الذى يعوز الدارسين كما قلنا ونحن نتحدث عن هذه  
القصيدة فى باب الدراسة المذهبية مرجعه إلى عدم الإحاطة بظروف  
الحياة التى تنتج الفن ، وتضع بين أيديهم أداة الربط بين شخصية  
الكاتب وما كتب أو بين شخصية الشاعر وما نظم وتحول بينهم  
وبين الحوالم الذى يبقى بلا جواب ! لو رجع الدكتور إلى حياة  
شاعرنا فيما قبل الثلاثين كما استعرضناها فى الفصلين السابقين ،  
لأدرك أن الشموخ بالحزن فى « غرفة الشاعر » أو الشموخ بالحيرة

تنطبق على غيرهم من الناس . أليس هذا هو واقعهم النفسى فى  
فترة من فترات العمر سجلتها فى تلك القصص سطور وكلمات ؟  
هو كذلك بلا جدال ، وإنه لواقع عصر فى صورته النابذة لا فى  
صورته العامة تبعا لما سبق من تحديد . . وفى هذا كله ما يفسر  
لك انتفاء التناقض فى الجمع بين كلمتين : ها الواقعية النفسية  
والرومانسية الوجودية !

وفى معرض المقارنة بين شاعرنا المصرى والشاعر الإنجليزي  
تقدم هذا السؤال : هل تأثر على طه فى شعره بذلك الأنجاه  
الرومانسى الذى نلمحه عند بعض الشعراء الغربيين ومن بينهم  
بيرون ؟ سؤال مقصود أيضا لأن الجواب المنتظر عنه مقصود ؛  
حين نفتح الصفحة الرابعة والستين بعد المائة والصفحة التى تليها  
من الجزء الثالث من « حديث الأربعة » للدكتور طه حين  
فنجده هذه الكلمات : « ومن الكتاب من يقول إن شاعرنا  
تأثر بأبى الملاء ثم يضيف بهذا التأثر . ولست أدري أثار شاعرنا  
بأبى الملاء حقا أم تأثر ببيرون أم تأثر بهما جميعا ويقوم آخري  
غيرها أم لم يتأثر بأحد ، وإنما لى من لى من الشعراء مصادفة وعلى  
غير قصد ولا عمد . وأحس أنا فى قصيدة أخرى أسماها « غرفة  
الشاعر » روحا « لموسيه » ، ولكنى لا أدري أهو روح الذى  
قرأ فتأثر أم هو روح الذى أحس فتألم ، فشكا فلقى موسيه فى هذا  
كله أو فى بعضه . ولست أتردد فى الرضا عن هذه القصيدة  
والحب لها والإعجاب بها . ولست أكره أن تشاركنى فى هذا  
الرضا وأن تشاطرنى هذا الحب والإعجاب ، فاقرا معى هذه  
القصيدة وقف معى عند بعض أبياتها وقفات قصارا . . . هذه  
الصور المتتابعة المختلفة حسان كلها ، ولكنها بعيدة إلى حد ما  
عن المؤلف من حياة شعرائنا الشرقيين ، إلا أن يكونوا مترفين  
قد ألفوا حياة الغرب وكلفوا بالسهاد فى غرفة يضطرب فيها نور  
ضئيل شاحب ، وتغنى فيها بقايا الجدوة فى الوقد ، وكل هذا يألفه  
الغربيون ، وهو يذكرك بموسيه تذكيرا قويا . وبعض الناس  
يعيب شاعرنا « بتزريب » الشعر ، أما أنا فأحمد له هذا النوع  
وأراه تشريفا للشعر العربى ورياضة للنوق الشرقى وللغة العربية

وما يقترن به من تفاوت في معدن التعبير . . . إنه اتفاق في جوهر الشكلة كما قلنا وعامل الإثارة واحد لا اختلاف عليه ، ونسئ به القلق الذي يهز النفوس والمقول ويدفعها دفعا إلى محاولة النوض في أعماق المجهول . قلق عند بيرون وقلق عند علي طه وقلق عند أبي الملاء ، ولكن مصدر هذه الظاهرة النفسية يختلف عند الشاعر الأول عنه عند الشاعرين الآخرين ، حين تفسره عند بيرون بأنه فراغ الحياة من العطف وحده وحين تفسره عند صاحبيه بأنه فراغ الحياة من العطف والمأطفة .. لقد عاش بيرون في مجتمع حرم فيه عطف الناس فنار حيننا على الله والناس ، وعاش أبو الملاء كل حياته وهو محروم من نعمة الشعور بالعطف الإنساني وبالمأطفة الأنتوية ، وكذلك كان الأمر بالنسبة إلى علي طه ولكن في فترة محدودة من فترات الحياة ، ومثل هذا الحرمان كفيفل بأن يهز سكينه النفوس والمقول !

أنور المعداوي

في « الله والشاعر » كان طبيعيا لا أثر فيه للتقليد والمحاكاة ، وأن ذلك الروح الذي أحسه في هاتين القصيدتين كان روح الشاعر الذي تحير في صدق فالتقى في حيرته عن غير قصد مع بيرون ، وتألم في صدق فالتقى في ألمه عن غير عمد مع موسىه . . إن التشابه بين إنتاج الرومانسيين أمر لا غرابة فيه ولا موضع للدهشة وافتراض الفروض ، لأن الأجواء النفسية التي حلقت فيها بالشاعر وجالوا بالخواطر كانت متشابهة أو كان التوافق بينها جد قريب ؛ ومن هنا لا يجوز لنا أن نسأل عن تلك العلاقات التأثيرية بين أصحاب الآثار الرومانسية ، إلا إذا استطعنا أن نثبت وجود شيء من تلك العلاقات بين جيته في « آلام فرتر » ولا مرتين في « رفائيل » ، وكونستان في « أدولف » ، وشاتوبريان في « ربنيه » !

ولقد قلنا إن مشكلة التفكير الإنساني في المصير وما يتعلق بها من بحث حول « شرعية » الثواب والعقاب مشكلة قديمة ، ومما لا شك فيه أنها قد سبقت بدمها أفكار هؤلاء الذين تعرض لهم الدكتور في حديثه وخص منهم بالذكر شاعرين هما بيرون وأبو الملاء . . وإذن فلا مبرر للتساؤل عما إذا كان علي طه قد تأثر بهذين الشاعرين في قصيدة « الله والشاعر » لأن الأمر أوضح من أن يحتاج إلى سؤال !

إن المشكلة قديمة وجديدة في وقت واحد لأنها مشكلة الأمس واليوم والتغد القريب والبعيد ، مادامت هناك فترات قلق تمر بحياة الإنسانية المفكرة الشاعرة وتدفعها إلى إطالة التفكير فيما وراء هذه الحياة . . هل نحن مسيرون ؟ هل نحن غيرون ؟ هل نحن أصحاب إرادة فيما تقدم عليه من عمل أم أننا مجرد أدوات بين يدي قوة خفية توجهها كيف تشاء ؟ أسئلة تعرضت لها الأجيال الماضية وتعرض لها الأجيال الحاضرة وسوف تعرض لها الأجيال المقبلة ما بقي هناك فكر يبحث في المصير وما يرتبط به من جزاء ! وإذن فلا عجب إذا ما التقت أفكار الشعراء الثلاثة حول هذا المعنى الكبير في بعض ما خلفوا من آثار أدبية ؛ آثار تتفق في جوهر الشكلة ولكنها تفرق في صب التجربة الشعورية في القالب الفني فيما لا اختلاف المعدن النفسي

## في ظلال القرآن

بقلم

سبر قطب

تبعاً في ثلاثين جزءاً بعدد أجزاء القرآن

ظهر الجزء الأول والثاني

نمن الجزء ١٢ قرشا

يطالب من دار إحياء الكتب العربية

عيسى البان الحلبي وشركاه ومن المكتبات